

مجمع الأمثال

574 - أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ .

واليمامة : اسمُها وبها سمي البلد وذكر الجاحظ أنها كانت من بنات لُقْمَانَ ابن عاد وأن اسمها عنز وكانت هي زَرْقَاءُ وكانت الزبّاء زَرْقَاءُ وكانت البسوس زرقاء قال محمد بن حبيب : هي امرأة من جَدِيس يعني زرقاء كانت تُبْصِرُ الشيء من مسيرة ثلاثة أيام فلما قَتَلَتْ جَدِيسَ طَسَمًا خرج رجل من طَسَمٍ إلى حَسَّان بن تُبَيْع فاستجاشه ورَغَّبَ به في الغنائم فجهَّز إليهم جيشا فلما صاروا من جَوٍّ على مسيرة ثلاث ليلٍ صعدت الزرقاء فنطرت إلى الجيش وقد أُمِرُوا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلُ السُّوا عليها فقالت : يا قوم قد أتتكم الشَّجَرُ أو أتتكم حمير فلم يصدقوها فقالت على مثال رجز :

أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ ... أو حِمِيرٌ قَدْ أَخَذَتْ شَيْئًا يَجْرُ .
فلم يصدقوها فقالت : أحلف بالله لقد أرى رَجُلٌ يَنْدَهَسُ كَتَفًا أو يَخْصِفُ النعل فلم يصدقوها ولم يستعدُّوا حتى صَيَّحَهُمْ حَسَّان فاجتاحهم فأخذ الزرقاء فشَقَّ عينيها فإذا فيهما عُرُوق سود من الإثمدِ وكانت أولَ من اكتحل بالإثمد من العرب وهي التي ذكرها النابغة في قوله :

وَإِذَا كُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَطَرَتْ ... إلى حمامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ

الثَّامِدِ [ص 115]